Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (1) July(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

فلسفة الأمن الفكري في النظام السياسي الاسلامي لدى جمال الدين الأفغاني

م.د. معاذ حمدي حسون

الجامعة العراقية كلية العلوم الإسلامية

The philosophy of intellectual security in the Islamic political system according to Jamal al-Din al-Afghani

PHD. MAADH HAMDI HASSOON
Iraqi University - College of Islamic Sciences

الملخص:

يُعد مفهوم الأمن الفكري من أهم متطلبات واقعنا المعاصر، وأغلب مشكلاتنا المعاصرة فهي تعود إلى وقوع خلل فكري في البنية الفكرية للمجتمع المسلم ، وكوننا مسلمين وشريعتنا هي الحاكمة، فإننا نحتاج إلى صياغة فكر إسلامي آمن يحقق متطلبات الواقع المعاصر ويحل الإشكالات الفكرية الحاصلة، وتأتي في مقدمة مشاكلاتنا الفكرية المعاصرة هي ما تكون في الجانب السياسي، لذلك يجب أن نعمل على إيجاد الأمن الفكري في جناحه السياسي الإسلامي من خلال أهم قامة فكرية إسلامية، كان لها دورًا هامًا في إحداث تغيير على مستوى النظام السياسي الإسلامي ألا وهو جمال الدين الأفغاني من خلال ما طرحه من أفكار ثورية هدفت بالدرجة الأولى إلى محاولة تغيير الواقع الإسلامي عن طريق كتاباته وأفكاره وحتى تلاميذته الذين أكملوا المشوار من بعده. الكلمات المفتاحية : (الأمن، الأمن الفكري، النظام السياسي الإسلامي، جمال الدين الأفغاني)

Abstract :

The concept of intellectual security is one of the most important requirements of our contemporary reality, and most of our contemporary problems are due to an intellectual defect occurring in the intellectual structure of the Muslim community. Being Muslims and our Sharia is the ruling, we need to formulate a safe Islamic thought that fulfills the requirements of the contemporary reality and solves the existing intellectual problems, and it comes at the forefront. Our contemporary intellectual problems are on the political side, so we must work to create intellectual security in its Islamic political wing through the most important Islamic intellectual figure, who had an important role in bringing about change at the level of the Islamic political system, namely Jamal al-Din al-Afghani through what he proposed. Of revolutionary ideas that aimed primarily at trying to change the Islamic reality through his writings, ideas, and even his students who completed the journey after him.

المقدمة

يتناول البحث هذا مفهوم الأمن الفكري في النظام السياسي الإسلامي لدى جمال الدين الأفغاني، ولو أتينا لفهم الأمن الفكري ودراسته لعرفنا أهميته وضرورته، وبالتالي نعمل على إيجاده بصورة صحيحة وصياغته، وعندما نصل إلى مرحلة تطبيقه وتحقيقه على أرض الواقع ربما سنحتاج لخدمات مؤسسات حكومية كاملة، إلا ان الواجب يحتم علينا بوصفنا باحثين ومفكرين إسلاميين أن نعمل جاهدين على ضبط هذا المفهوم من كل جوانبه وأركانه، وربما يأتي اليوم الذي نرى فيه الدولة تسخر إمكاناتها لتحقيق الأمن الفكري.من المعلوم، أن الأمن الفكري مرتبط بكل ما يخص الفكر، وبالتالي فإن بحثنا هذا يتكلم عن المنظومة الفكرية السياسية لدى جمال الدين الأفغاني، لذا لا يخفى على كل باحث أو طالب علم مدى أهمية الفكر السياسي الإسلامي وضرورته، وعلى هذا الأساس سنحاول أن نبين ما الأمن الفكري وماهيته ، وما مفهومه ، وما أدلته الشرعية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وسنتطرق لأهم تعريفاته.على صعيد ذي صلة، لابد من بيان أهم شخصيات الفكر الإسلامي المعاصر وهو جمال الدين الأفغاني، إذ سنبين أهم أراءه الفكرية في النظام السياسي الإسلامي ، والتي من خلال فهمها يمكن أن نحقق ما نروم الوصول اليه من فكر سياسي إسلامي آمن، إذ أن مفهوم الأمن الفكري ليس مرتبطًا أو محددًا بشيء مقولب أو ثابت، وطالما أن هذا النظام السياسي الإسلامي يحقق ما نادت به

الشريعة فهو بذلك يُعد (آمنًا فكريًا) ، كما سنتطرق لأهم أفكار الأفغاني السياسية والتي كان ينادي بها بدءاً من تحرير إرادة الأمة الفردية والجماعية، وصولاً الى العمل على وحدة الأمة.قسم البحث على مبحثين، سبقته مقدمة وأعقبته خاتمة، تضمنت أهم نتائج الدراسة، إذْ شمل المبحث الأول: (الأمن الفكري ، مفهومه ، وأدلته الشرعية)، في حين حمل المبحث الثاني عنوان: (جمال الدين الأفغاني ، والأمن الفكري في نظامه السياسي الإسلامي).

المبحث الأول الأمن الفكري ، مفهومه ، وأدلته الشرعية

أولًا – تعريف الأمن الفكري:

الأمن لغةً :

بدايةً يجب أن نبين الأمن من الناحية اللغوية، فهو: "الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى، وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان، والأَمْنُ ضدُّ الخوف والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة... والمَأْمَنُ موضعُ الأَمْنِ، والأمنُ المستجيرُ ليَأْمَنَ على نفسه". (ابن منظور، ١٩٩٤م، ص٢١)

الأمن اصطلاحًا:

وأما من الناحية الاصطلاحية فقد عرّف (**الأَمْنَ**) تعاريف عدة ولكن أكثر هذه التعاريف لا تخرج كثيرًا عن معنى: "هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي". (الجرجاني، ب، ت، ٣٤)

الفكر لغةً :

الفكر لغةً مستنبط من : "فكر: الفِكرُ: اسم التفكر. فكر في أمره وتفكر. ورجل فِكيرٌ: كثير التفكر. والفِكرةُ والفِكْر واحد". (الفراهيدي، ب، ت، ٤٤٠)

الفكر اصطلاحًا :

للفكرِ تعريفاتٍ إصطلاحية كثيرة ولكن أهمها هو : " ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب, يكون علمًا أو ظنًا". (الفيومي، ١٩٨٧م، ١٨٢)

ثانيًا ـ مفهوم الأمن الفكري:

يُعَدُ الأمن الفكري من أهم المصطلحات والمفاهيم الفكرية التي بدأ الاهتمام به وبدراستِه مؤخرًا، ذلك لأهميته الكبيرة وضرورته الآنية، إذ يُلْحظ أن نشأة مفهوم الأمن الفكري والاهتمام به كان في فترة متأخرة، وذلك من حيث نشأة المفهوم بوصفه مفهومًا والاهتمام به والتأصيل له, وليس الاهتمام بتحقيق الأمن الفكري, إذ الاهتمام بتحقيق الأمن الفكري كان قديمًا منذ عهد السلف وذلك بالردود على الفرق المخالفة وبيان الحق, وما جهود الأئمة الكبار وعلماء الإسلام الأفذاذ كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم –رحمهما الله– في بيان الحق والرد على المنحرفين فكريًا, ومن قبلهما الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الإسلام إلا دليلٌ على ذلك, ومن قبلهم الصحابة (رضي الله عنهم) لما ظهر الخوارج في عهد علي (رضي الله عنه) بعد حادثة التحكيم فحاول علي(رضي الله عنه) أن يقنعهم بالرجوع إلى صوابهم فبعث إليهم عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) ليحاورهم ويناظرهم فرجع طائفة كبيرة منهم إلى الحق والصواب. (الهذيلي، ١٤٣٣هـ،٤٧)وتبين لي عن طريق البحث والاستقصَاءْ عن نشأة مفهوم الأمن الفكري، ومن هو أول من أطلق هذا المفهوم ونادى به، أنه لم يتضح لي – وفق علمي – ثمة شخص بحد ذاته أو مؤسسة تعليمية أو أكاديمية ممكن أن ننسب لهم فضل نشأة هذا المفهوم، لكن المفهوم هذا قد تَكون وشُكّلَ عن طريق تقسيمات الأمن المُفَصَلة والمتنوعة والمتعددة كالأمن الجنائي والأمن العسكري والأمن الغذائي والأمن الوقائي وغيرها من أنواع الأمن الأخرى، إذ تَكون وتأسس مفهوم أمني شامل للفكر والعقل ويختص بهما وبدراستهما، ووفق –أكثر الدراسات– فإن مفهوم الأمن الفكري قد حظيَّ باهتمام كبير ودراسة في الدول الغربية، إلا أن هناك تأخرًا في الاهتمام بدراسته – بوصفه مفهومًا – في الدول العربية والإسلامية، –وأيضًا– تأخرًا في محاولة تأصيله إسلاميًا.إذ يُعد الأمن الفكري من المفاهيم والمصطلحات الحديثة نسبيًا، والذي كما أشرنا لم يعرف قديمًا في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن كان للشريعة رؤيتها في حفظ الدين والعقل، ولذا فقد خلت معاجم اللغة العربية من إيراده ولكنه وإن كان مستحدثًا بوصفه مركبًا وصفيًا؛ إلا أن مضمونه قديم قدم المجتمع الإنساني؛ ولكنه حظي بالاهتمام في ظل العولمة، وما صاحبها من تطور في المواصلات والاتصالات؛ مما أدى إلى انفجار معرفي، وانفتاح ثقافي، ومن ثم انتشار الثقافات المتعددة، وتداخل المعتقدات المتعارضة؛ مما أدى إلى تهديد الخصوصيات الثقافية، ومحاولة طمس الهوية الفكرية في المجتمعات.(فارس، ٢٠١٢م، ١٩)عن طريق التقصي والتتبع البحثي لأغلب ما كُتب عن مفهوم الأمن الفكري من الناحية العلمية والفلسفية وجدنا أن الأعم الأغلب منها تدور حول حماية العقل وتحصينه من الخروج عن منهج الوسطية إفراطًا أو تفريطًا، وبإمكاننا أن نبين أهم هذه التعريفات:

١. "هو سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال، في فهمه الأمور الدينية والسياسية، وتصوره الكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع أو إلى الإلحاد والعلمنة"(الوادعي، ١٩٩٨م، ٥١).

٢. " النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع، لتجنيب الأفراد شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية، تكون سببًا في انحراف السلوك، والأفكار، والأخلاق عن جادة الصواب، أو سببًا للإيقاع في المهالك". (نصير، ١٤٣١هـ، ١٢)

٣. أنه: "الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديدًا للأمن الوطني، أو أحد مقوماته الفكرية، والعقدية، والثقافية، والأخلاقية، والأمنية". (المالكي، ١٤٣١هـ، ٥٣)

٤. ويعرفه السديس بأنه: "أن يعيش الناس في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة". (السديس، ٢٠٠٥م، ١٦)ويمكن أن أقول : بأنه مصطلح ومفهوم متمركز على كل مكنونات العقل والفكر ومكونات الثقافة الخاصة بكل أمة، وهو أيضًا السبيل المؤدي إلى حفظ الأمة من ناحية أصل وجودها، وركائز أسسها الحضارية والثقافية والدينية والاجتماعية، من خلال منتوج عقلي هادف، وأيضًا الدفاع عنها ضد كل ما يعتدي أو يمس هذه الركائز أو الأسس من تهديدات سواء داخلية وخارجية.ولابد لنا قبل أن نشرع ونبدأ في بحثنا هذا أن نتطرق إلى تعريف الأمن الفكري وماهيته، وما الأدلة الشرعية على أهميته.

ثالثًا – الامن الفكري في الأدلة الشرعية:

بعد أن بينا أن الأمن الفكري إنما هو جزء من مفهوم الأمن بصورة عامة ولا يتجزء عنه، فإننا نتناول هنا ذكر مفهوم الأمن بصورة عامة في القرآن والسنة، وأن أي خلل يحدث في أي جزء من أجزاءالأمن بصورة عامة فإنه يحدث تصدع في الأمن مجمله، هناك الكثير من الأدلة في القرآن والسنة التي تكلمت عن اهمية الأمن ضرورته، ومدى ارتباط الأمن بصورة عامة بتحقيق الإيمان الحقيقي والتزام شريعة الله ، وعدم الحياد عنها، وأن أي ابتعاد أو مفارقة لشرع الله فإن ذلك يجر لخلل في بنية الأمن كله، وسنوضح هذه الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بذكر دليلين لكل منهما لكون المقام لا يسمح بالتوسع والاستطراد في ذلك.

١ـ القرآن الكريم:

- قال تعالى: **(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)**(النحل: الآية ١١٢)تحدثت هذه الآية عن ظهور الأمن، وبسط الحياة المعيشية فترة زمنية، ثم زالت هذه الفترة، بسبب عدم شكر المُنعم الحقيقي، ولم يفردوه بالعبادة، فتبدل الأمن إلى خوف بعد أن انحرف الفكر، وخرج عن الدائرة الصحيحة، وهذا التغيير كان سريعًا بدليل حرف الفاء الذي يفيد التعقيب والترتيب في قوله **(فَأَذَاقَهَا)**، –وأيضًا– كلمة لباس هي التي دلت على خطورة الأمر، فاللباس يحيط بالجسد، فاستعير لهذه الحالة؛ ليظهر أن الأمن، إذا وجد، يؤثر في مناحي الحياة كلها، وكذلك إذا زال(ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٤٧).فتَرتُب الجوع والخوف على الكفر دليل على ضرر الانحراف وخطورته، ومن ثم يجب التخلص منه بما يزيل الخوف والجوع، وهو الإيمان، إذ إن الآية أثبتت الاطمئنان ورغد العيش في حالة الإيمان الذي يمثل الأمن الفكري.وفي الآية دليل على ارتباط الأمن بالأمن الفكري فإذا كان الأمن الفكري واجب التحقيق فيجب تحقيق الأمن، وإلا كان الانحراف عن الطريق المستقيم، فالأمنُ لِمَن كان آمنًا في فكره، معافى في عقله من كل مايؤدي الهلاك إليه.
- وكذلك قوله تعالى: **(الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)** (الأنعام: الآية ٨٢).

نرى في سياق تفسير هذه الآية عندما سأل الصحابة الرسول **(صلى الله عليه وسلم)**، كما جاء "عن علقمة عن عبد الله **(رضي الله عنه)** قال لما نزلت الآية قلنا يا رسول الله: أيُنا لا يظلم نفسه قال : ليس كما تقولون، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لإبنه: **(يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)**". (البخاري،٢٠٠٢م، ص١٢٢٦)وبناءً عليه فإن الشرك فكر مشوه؛ لأنه يحمل مضمونًا معينًا، وهو أن المشرك قد عبد آلهة من دون الله؛ لتقربه إلى الله زلفى قال تعالى عن المشركين **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)** (الزمر: الآية ٣).فالأمنُ لِمَن كان آمنًا في فكره، معافى في عقله من كل مايؤدي الهلاك إليه، قال ابن عاشور: "ولما كان الاعتراف لغيره ظلمًا كان إيمانهم بالله مخلوطًا بظلم، وهو إيمانهم بغيره؛ لأن الإيمان بالله وإشراك غيره في ذلك، كلاهما من جنس واحد، وهو اعتقاد الربوبية، فهما متماثلان، وذلك أظهر في وجه الشبه...والمعنى الذين آمنوا بالله، ولم يشركوا به غيره في العبادة، فلم ينحرفوا في تفكيرهم وعلاقتهم بربهم، ولم يشُبْها أدنى انحراف كان نتيجة ذلك أن لهم الأمن؛ وقوله: **(لهم الأمن)** من عذاب الدنيا بالاستئصال ونحوه، وما عذبت به الأمم الجاحدة، ومن عذاب الآخرة؛ إذ لم يكن مطلوبًا منهم –حينئذ– إلا التوحيد". (ابن عاشور،١٩٨٤م، ١٨٨)

٢– السنة النبوية:

• جاء في الحديث أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى النبي **(صلى الله عليه وسلم)** بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي **(صلى الله عليه وسلم)**، فغضب فقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني"(أحمد بن حنبل، ١٩٩٨م،٣٤٩).

ويتبين لنا هنا أهمية الأمن الفكري وضرورته عن طريق إنكار الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اطلاعه على نسخة من التوراة؛ لاحتمال تأثر فكر عمر (رضي الله عنه) بما يحمله الكتاب من أفكار لا تنسجم مع طبيعة الرسالة المحمدية التي هي واضحة لا شائبة فيها، فيكون اطلاع عمر (رضي الله عنه) إخلالًا بالأمن الفكري الذي يجب تحقيقه في الأحوال كلها، إذ لو لم يكن واجبًا لما نهاه **(صلى الله عليه وسلم)** عن الاطلاع على الصحيفة. (الزبيدي، ٢٠٢٢م، ٥٥)

• وكذلك من الأحاديث المهمة عن الأمن الفكري، قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** فتعلمت له كتابَ يهودَ، وقال: "إني والله ما آمنُ يهودَ على كتابي"، فتعلَّمتُه، فلم يمر بي إلا نصفُ شهر حتى حَذَقْتُهُ، فكنت أكتب له إذا كتَبَ، وأقرأ له إذا كُتِبَ إليه". (أبو داود،١٤١٧هـ، ٦٥٦)ونرى هنا أن هذا الحديث يشير في معناه العام إلى مفهوم الأمن الفكري ويبين مدى أهميته إذ إن الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** لم يأمن اليهود على الكتاب، لذلك جعل زيد بن ثابت (رضي الله عنه) يتعلم كتابهم، حتى يأمن على فكر الأمة من مكر اليهود وتزييفهم الحقائق وكتمانهم وتحريفهم ما في كتابهم من أحكام وإشارات إلى بعثة النبي **(صلى الله عليه وسلم)**.

المبحث الثاني جمال الدين الأفغاني ، والأمن الفكري في نظامه السياسي الإسلامي

بعد أن بينا ما الأمن الفكري وما ضرورته ، وما أهم أدلته الشرعية ، ننتقل الآن إلى الجزء الثاني من البحث وهو الأمن الفكري في النظام السياسي الإسلامي لدى جمال الدين الافغاني، ولكن علينا أولًا أن نُعرف جمال الدين الأفغاني، ونترجم له بصورة مختصرة وموجزة. "جمال الدين الأفغاني : (١٢٥٤ – ١٣١٥ هـ = ١٨٣٨ – ١٨٩٧ م) محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره وأهم مفكريه، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد بأفغانستان ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى الهند، وحج سنة ١٢٧٣هـ وعاد إلى وطنه، فأقام بكابل. وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان) ثم رحل مارا بالهند ومصر، إلى الآستانة (سنة ١٢٨٥هـ) فجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف. ونفي منها (سنة ١٢٨٨هـ) فقصد مصر، فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة، وتتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده، وكثيرون. وأصدر أديب إسحاق، وهو من مريديه، جريدة (مصر) فكان جمال الدين يكتب فيها بتوقيع (مظهر بن وضاح) أما منشوراته بعد ذلك فكان توقيعه على بعضها (السيد الحسيني) أو (السيد) . ونفته الحكومة المصرية (سنة ١٢٩٦هـ) فرحل إلى حيدر آباد، ثم إلى باريس. وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) ، كان واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة، كريم الأخلاق كبير العقل، لم يكثر من التصنيف اعتمادا على ما كان يبثه في نفوس العاملين وانصرافا إلى الدعوة بالسر والعلن." (الزركلي، ٢٠٠٢م، ١٦٩) للأفغاني مصنفات أهمها: (تاريخ الأفغان) و(رسالة الرد على الدهريين) ترجمها إلى العربية تلميذه الشيخ محمد عبده. وجمع محمد باشا المخزومي كثيرا من آرائه في كتاب (خاطرات جمال الدين الأفغاني) ولمحمد سلّام مدكور كتاب (جمال الدين الأفغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق) في سيرته. (الزركلي، ٢٠٠٢م، ١٦٩)جمال الدين الأفغاني شخصية يصدق عليها قول القائل: ملأ الدنيا، وشغل الناس، فهو شخصية شغلت الباحثين في عصره حيًا، وبعد وفاته، فهو الرجل الذي أقض مضاجع الطغاة، وألهب النفوس والعواطف، وكان له فضل كبير في تفتح كثير من حقول المصلحين من بعده، وقطع أشواطًا هائلة في مسيرة الإصلاح الديني والسياسي، مما مهد المناخ لمن بعده لبذر بقية بذور الإصلاح، بل وجني بعض ثماره، ولذا ليس غريبًا أن يكون معظم رواد الإصلاح والتغيير من بعده من تلامذته المباشرين، أو ممن تأثروا بمدرسة الرجل الفكرية، من أمثال: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والكواكبي، والمراغي، و شلتوت، وغيرهم كثير. (الزبيدي، ٢٠٢٢م، ٢٥٥)يقوم مشروع وفكر جمال الدين الأفغاني في الإصلاح على أركان أربعة:أولها: الالتزام بمبادئ الإسلام، والاقتداء بسلف الأمة. الثاني: تحرير الأمة من الاستبداد الداخلي والخارجي الثالث: توحيد الأمة في جامعة إسلامية. الرابع: الأخذ بأسباب القوة من العلوم والنظم الغربية وسوف أركز هنا في هذا البحث على أفكار وجهود الأفغاني (رحمه الله) الإصلاحية في النظام السياسي الإسلامي، الذي ممكن أن تحقق لنا الأمن الفكري في النظام السياسي الإسلامي، أي أن تُحقق ما نرتجيه من نظام سياسي إسلامي، أهم هذه المرتكزات الفكرية التي قام عليها الأفغاني مشروعه السياسي، هي ركيزتين اثنتين، ويتفرع عنهما كثير من الركائز الفرعية:

أولًا: تحرير إرادة الأمة الفردية والجماعية.

ثانيًا: العمل على وحدة الأمة.

أولًا – تحرير إرادة الأمة الفردية والجماعية:إن الركيزة الأولى المهمة في مشروع الأفغاني السياسي هي: تحرير إرادة الأمة، سواء على مستوى الأفراد والجماعات، فقد كان تحرير إرادة الفرد عند الأفغاني مطلبًا ملحًا بالدعوة إلى تصحيح الفهم لقضية (القضاء والقدر)، هذا الفهم الذي أدى إلى أن يعتقد المسلم في عهود التخلف والركود أنه محكوم في إرادته بما يُرسم له مسبقًا، فهو في ذلك مسلوب الاختيار، وبالتالي فإنه يتبع الأحداث، ولا يصنعها، وليس له فيها أي يد أو دور، وترتب على ذلك أن قلت حركته وسقط في فخ التواكل. (النجار، ٢٠٠٦م، ١٠٦)واتبع الأفغاني في تصحيح هذا الفهم أسلوب المواءمة بين القضاء والقدر من جهة، وبين اختيار الإنسان من جهة أخرى، فهما أمران متكاملان لا متناقضان. فقضاء الله وقدره ثابتان، ولكن مع الإيمان بهما فإن الإنسان يشعر بأنه مختار لما يريد، ويلاحظ ذلك في نفسه وغيره، إذ هو ليس مطلعًا على الغيب المقضيّ به، والإيمان بالقضاء والقدر يكسب الإنسان المسلم الانطلاق والجرأة، ويحرره من الخوف على النفس، أو الرزق، أو التشريد والمصادرة، ويحرره من الوهن واليأس والقعود، والاستسلام للأمر الواقع بدعوى التسليم بالقضاء والقدر، بل عليه التخطيط لمستقبله والخروج من أزمته وهذا هو التوازن الذي نادى به الأفغاني في مخاطبة الفرد المسلم كي يتحرر من هذه الأوهام. وقد بدأ الأفغاني في تحرير إرادة الأمة أفرادًا عن طريق العلماء بداية، فتواصل مع علمائها، وركز على قادتها، والمؤثرين في توجههم. (النجار، ٢٠٠٦م، ١٠٧)

١- **تحرير الإرادة الجماعية:**وحرية الإرادة الجماعية عند الأفغاني تدخل تحتها عدة معاني، ومن تلك المعاني: الشورى، والعدالة، والأمن، والتحرر من الاستبداد السياسي، والحكم المطلق كان جمال الدين الأفغاني ألمع من حمل راية تحرير الأمة من النفوذ الأجنبي في عصره، فقد سخر حياته لذلك، وحفلت كتاباته بالدعوة إليه، وكان كأنما ينظر من وراء حجب حينما أنذر العالم الإسلامي باكتساح وشيك من الغرب المسيحي، فما هي إلا سنوات حتى تم ما أنذر به. لقد كان يرسلها صيحات مدوية داعيًا الأمة إلى التحرر من التسلط الأجنبي، وذلك من مثل قوله: "ألا أيها النائمون تيقظوا، ألا أيها الغافلون تنبهوا، يا أهل الشرق والناموس، ويا أرباب المروءة والنخوة، ويا أولي الغيرة الدينية، والحمية الإسلامية، ارفعوا رؤوسكم تروا بلاءً منصبًا على أوطانكم، وما أنتم ببعيد منه، ولا بمعزل عنه، إن لم يكن أصابكم اليوم فسيصيبكم غدًا.. أصبحتم على شفا جرف المذلة، ويحشى أن يقذف بكم بعد قليل في جحيم العبودية". (الأفغاني، عبده، ٢٠١٤م، ٢٢)

٢- **التحرر من الاستبداد وتسلط الحاكم:**كما غرس الأفغاني في الأمة تحرير الإرادة من الاستبداد والتسلط من الحاكم بل ذهب أبعد من ذلك بتحرير الإرادة الجماعية من استبداد الحاكم، فدعا إلى أن تتمسك الشعوب بحق الانتخاب للحاكم، ومبايعته على الحرية والشورى، وتكون هذه المبايعة بمثابة عهد بينه وبين الشعوب، فإذا حنث في عهده، ونقض بيعته بأن انقض على الشورى، أو صادر الحرية، كان لهذه الشعوب معه شأن آخر قال عنه: "إذا أتاح الله رجلًا قويًا عادلًا لمصر وللشرق يحكمه بأهله. ذلك الرجل إما أن يكون ، موجودًا، أو تأتي به الأمة فتملكه على شرط الأمانة والخضوع لقانونها الأساسي، وتتوجه على هذا القسم، وتعلنه له، يبقى التاج على رأسه، ما بقي هو محافظًا أمينًا على صون الدستور، وأنه إذا حنث بقسمه وخان دستور الأمة: إما أن يبقى رأسه بلا تاج، أو تاجه بلا رأس!". (عمارة، ٢٠١٦م، ٣٣٣)

ثانيًا – العمل على وحدة الأمة:جمال الدين الأفغاني من أكثر الشخصيات التي أُختُلِفَ كثيرًا في تحديد توجهه العقدي أو الديني، وحتى الفكري والوطني، أي هل هو سني أم شيعي؟ وهل هو أفغاني أم إيراني؟ وهل هو رجل دين أم رجل سياسة؟ وهل وهل؟ وكل هذه الاختلافات سببها: أن الرجل تعالى وترفع على المذهبيات الضيقة ورفضها مجملًا، وعلى الخلافات السطحية التي تفرق الأمة ولا تجمعها، فكان مسلمًا بكل ما تعنيه هذه الكلمة، يحوي كل المذاهب والفلسفات في وعاء الإسلام الشامل.ولذا اتجه الأفغاني إلى العمل على مبدأ وحدة هذه الأمة، والقضاء على كل ما يفرقها، سواء كان سبب التفرقة سياسيًا أم فكريًا، داخليًا أم خارجيًا. فكان من قواعد الإصلاح التي وضعها الأفغاني: "وجوب السعي لجمع المسلمين، والتأليف بين فِرَقهم التي يجمعها الإيمان بالقرآن المجيد المعصوم، ورسالة محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، والاستعانة على ذلك بالسياسة التي كانت السبب الأول لهذا التفرق الذي أُلبس بعد ذلك لباس الدين، ولكن كما يلبس الفرو مقلوبًا فكانت سبب ضعف جميع الفرق، ومن أهم أسباب ضعفهم وسلب الأجانب لملكهم". (رضا، ١٩٩٨م، ٢٥)وقد اتجه جمال الدين الأفغاني في سعيه لوحدة الأمة عدة اتجاهات، واتخذ سبلًا كثيرة للوصول إلى هذا الهدف، فبدأ أول ما بدأ بالعمل على الوحدة الفكرية للأمة، وإذابة ما بينها من خلافات في فروع الدين، وأهم ما نادى به:

١- **الوحدة الفكرية:**وتتمثل في التقريب بين المذاهب الإسلامية، ويعتبر الأفغاني من أوائل علماء المسلمين ومفكريه المعاصرين دعوة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وبخاصة السنة والشيعة، فقد استنكر جمال الدين الأفغاني انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة، وسعى إلى إزالة الخلاف بين الفريقين.(عمارة، ٢٠١٦م، ٣٣٠)

٢- **الجامعة الإسلامية**:سلك جمال الدين الأفغاني سبيلًا هاما لوحدة المسلمين العملية، وهو الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وربما هذه الدعوة شابها كثير من اللغط، وعدم الوضوح والتشويش، وبخاصة عند بعض من عاصروا هذه الدعوة، وما بعدها أيضًا. "فدعوة الجامعة الإسلامية تعني: أن للإنسان المسلم انتماء إسلاميًا يحدد هويته، وهوية الكيان السياسي والحضاري الذي يمنحه الولاء، وهذا الانتماء الإسلامي له مردود يتجسد في خيارات: فهو يعني: ١- رفض الوقوف بفكرة (الوطن) عند حدود دائرة (الإقليم)، بل ويتجاوز دائرة (الوطن القومي العربي) إلى (عالم الإسلام) الذي يضم الأقاليم والقوميات.وهو يعني: ٢- وجود (طابع حضاري) لهذا الانتماء الإسلامي، فعلاقات الأقاليم الإسلامية والقوميات التي يضمها عالم الإسلام لا تقف عند حدود حسن الجوار، أو المصالح الأمنية الاقتصادية، وإنما تعني فوق ذلك: وجود (وحدة في الحضارة الإسلامية) تجعل من عالم الإسلام هذا بأقاليمه وقومياته منظومة حضارية متميزة بين الحضارات العريقة القائمة على ظهر الكوكب الأرضي في العصر الحديث الذي نعيش فيه". (عمارة، ١٩٨٤، ١٦٢)وفي الختام هذه أهم الأفكار الاصلاحية التي كان ينادي بها ويسعى لتحقيقها على أرض الواقع جمال الدين الأفغاني في ما يخص النظام السياسي الإسلامي، والتي بدورنا نفهما أنها تعمل على تحقيق نظام سياسي آمن.

الخاتمة

بعد أن أنهينا بحثنا هذا نستطيع القول أن دراسة الأمن الفكري والاهتمام به هو من أهم متطلبات الواقع المعاصر، وضرورة صياغة فكر آمن يجب أن تكون في مختلف أنواع وجوانب الحياة المتعددة، وأيضًا في أنواع الأمن الاخرى، مثل الأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن الغذائي، والأمن الجنائي وإلخ.وأن دراستنا هذه قد بينت جانب متعلق بالأمن الفكري من جهة النظام السياسي الإسلامي، وقد بينا في هذا البحث أن النظام السياسي الإسلامي هو جزء ينطوي تحت مظلة الأمن الفكري الواسعة، وبالتالي حاولنا أن نبين أهم الأفكار التي يمكن أن نعدها أفكار سياسية إسلامية آمنة، من خلال طرح أبرز أفكار جمال الدين الأفغاني السياسية، والتي تناولنا أهم ركيزتين عنده، **الأولى** هي تحرير إرادة الأمة الفردية والجماعية وتحدث فيها على ضرورة تحرر الفرد عن طريق تصحيح الفهم لقضية القضاء والقدر، إذ يتصور الفرد أنه محكوم في إرادته بما يُرسم له مسبقًا، فهو بذلك كما يبين الأفغاني يكون مسلوب الاختيار، وبالتالي فإنه يتبع الأحداث، ولا يصنعها، وليس له فيها أي يد أو دور، وترتب على ذلك أن قلت حركته وسقط في فخ التواكل، وبالنسبة لتحرر إرادة الأمة الجماعية عند الأفغاني تدخل تحتها معاني كثيرة أهمها ضرورة فهم الأمة لمبادئ الإسلام السياسية والتي هي: الشورى، والعدالة، والتحرر من الاستبداد السياسي، والحكم المطلق.أما الركيزة **الثانية** عند الأفغاني فهي العمل على وحدة الأمة، وبينا فيها أفكاره التي تمثلت في مطالبته بالوحدة الفكرية، والجامعة الإسلامية، إذ أكد في جزئية الوحدة الفكرية على ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية وإلى أزالة الخلاف المؤذي بين الفرق الإسلامية وخاصةً بين السنة والشيعة، وأما في يخص فكرة الجامعة الإسلامية، دعى الأفغاني إلى إنشاء جامعة إسلامية، رافضًا الوقوف عند فكرة الوطن أو الإقليم بل يكون الرابط هو (عالم الإسلام) ويضم هذا العالم الأقاليم والقوميات والأوطان، وبالتالي ينتج عنها وحدة في الحضارة الإسلامية، تعطيها المُكنة والقوة والمَنعة، ومنافسة الحضارات الاخرى.

المصادر والمراجع

١- رامي تيسير فارس: الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٠- الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي) الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، مصر، ٢٠٠٢م.

١١- النجار، عبد المجيد: مشاريع الإشهاد الحضاري - الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ٢٠٠٦م.

١٢- الأفغاني، جمال الدين، ومحمد عبده: العروة الوثقى، ط١، مؤسسة هنداوي، مصر ،٢٠١٤م.

١٣- عمارة، محمد: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، ط١، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٦م.

١٤- محمد رشيد رضا: مجلة المنار، مطبعة المنار، مصر، ١٩٩٨م.

١٥- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

١٦- البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) صحيح البخاري، ط ١ دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،٢٠٠٢م.

١٧- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني) : سنن أبي داود، تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألبانيّ، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، عمان-الأردن، ١٤١٧هـ.

٢- الوادعي (سعيد بن مسفر) : الأمن الفكري الإسلامي، دراسة نشرت في مجلة الأمن والحياة، عدد (١٨٧)، ١٩٩٨م.

٣- محمد أحمد نصير: الأمن والتنمية، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣١هـ.

٤- المالكي (عبد الحفيظ بن عبد الله) : نحو مجتمع آمن فكريًا، دراسة قدمت في المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري في جامعة الملك سعود، ١٤٣١هـ.

٥- السديس (عبد الرحمن بن عبد العزيز): الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥م.
٦- الهذيلي (ماجد بن محمد بن علي) : مفهوم الأمن الفكري، رسالة ماجستير في جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، نسخة إلكترونية، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.
٧- ابن عاشور (محمد الطاهر) تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
٨- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف عام على المسند: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٩- الزبيدي، معاذ حمدي، إشكالية الأمن الفكري في الفكر الإسلامي المعاصر، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠٢٢م.
١٠- الفيومي (العلامة أحمد بن محمد بن علي) المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧.